

## تفسير ابن كثير

وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ <sup>ج</sup> أَوْلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا  
يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ <sup>ص</sup> النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ

وقوله : ( وهم يصطرخون فيها ) أي : ينادون فيها ، يجأرون إلى الله ، عز وجل بأصواتهم

: ( ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ) أي : يسألون الرجعة إلى الدنيا ،

ليعملوا غير عملهم الأول ، وقد علم الرب ، جل جلاله ، أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا ،

لعادوا لما نهوا عنه ، وإنهم لكاذبون . فهذا لا يجيبهم إلى سؤالهم ، كما قال تعالى منخبرا

عنهم في قولهم : ( فهل إلى خروج من سبيل ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن

يشرك به تؤمنوا ) [ غافر : 11 ، 12 ] ، أي : لا يجيبكم إلى ذلك لأنكم كنتم كذلك ،

ولو رددتم لعدتم إلى ما نهيتم عنه ; ولهذا قال هاهنا : ( أولم نعمركم ما يتذكر فيه من

تذكر ) أي : أو ما عشتم في الدنيا أعمارا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لاتنفعتم به في مدة

عمركم ؟ وقد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد هاهنا فروي عن علي بن الحسين

زين العابدين أنه قال : مقدار سبع عشرة سنة . وقال قتادة : اعلموا أن طول العمر حجة ،

فنعوذ بالله أن نغير بطول العمر ، قد نزلت هذه الآية : ( أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ) ، وإن فيهم لابن ثمانى عشرة سنة ، وكذا قال أبو غالب الشيباني . وقال عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن رجل ، عن وهب بن منبه في قوله : ( أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ) قال : عشرين سنة . وقال هشيم ، عن منصور ، عن زاذان ، عن الحسن في قوله : ( أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ) قال : أربعين سنة . وقال هشيم [ أيضا ] ، عن مجاهد ، عن الشعبي ، عن مسروق أنه كان يقول : إذا بلغ أحدكم أربعين سنة ، فليأخذ حذره من الله عز وجل . وهذه رواية عن ابن عباس فيما قال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد قال : سمعت ابن عباس يقول : العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم : ( أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ) أربعون سنة . هكذا رواه من هذا الوجه ، عن ابن عباس . وهذا القول هو اختيار ابن جرير . ثم رواه من طريق الثوري وعبد الله بن إدريس ، كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم في قوله : ( أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ) ستون سنة . فهذه الرواية

أصح عن ابن عباس ، وهي الصحيحة في نفس الأمر أيضا ، لما ثبت في ذلك من الحديث - كما سنورده - لا كما زعمه ابن جرير ، من أن الحديث لم يصح؛ لأن في إسناده من يجب التثبت في أمره .وقد روى أصبغ بن نباتة ، عن علي ، رضي الله عنه ، أنه قال : العمر الذي غيرهم الله به في قوله تعالى : ( أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ) ستون سنة .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي : حدثنا دحيم ، حدثنا ابن أبي فديك ، حدثني إبراهيم بن الفضل المنخزومي ، عن ابن أبي حسين المكي ؛ أنه حدثه عن عطاء - هو ابن أبي رباح - عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا كان يوم القيامة قيل : أين أبناء الستين ؟ وهو العمر الذي قال الله فيه : ( أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ) . وكذا رواه ابن جرير ، عن علي بن شعيب ، عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ، به . وكذا رواه الطبراني من طريق ابن أبي فديك ، به . وهذا الحديث فيه نظر؛ لحال إبراهيم بن الفضل ، والله أعلم .حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن رجل من بني غفار ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لقد أعذر الله إلى عبد أحياء

حتى بلغ ستين أو سبعين سنة ، لقد أعذر الله إليه ، لقد أعذر الله إليه " .وهكذا رواه الإمام البخاري في " كتاب الرقاق " من صحيحه : حدثنا عبد السلام بن مطهر ، عن عمر بن علي ، عن معن بن محمد الغفاري ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أعذر الله عز وجل إلى امرئ آخر عمره حتى بلغه ستين سنة " . ثم قال البخاري : تابعه أبو حازم وابن عجلان ، عن سعيد المقبري . فأما أبو حازم فقال ابن جرير : حدثنا أبو صالح الفزاري ، حدثنا محمد بن سوار ، أخبرنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القاري الإسكندري ، حدثنا أبو حازم ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " [ من عمره ] الله ستين سنة ، فقد أعذر إليه في العمر " . وقد رواه الإمام أحمد والنسائي في الرقاق جميعا عن قتيبة ، عن يعقوب بن عبد الرحمن به . ورواه البزار قال : حدثنا هشام بن يونس ، حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة " . يعني : ( أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ) . وأما متابعة " ابن عجلان " فقال ابن أبي

حاتم : حدثنا أبو السفر يحيى بن محمد بن عبد الملك بن قرعة بسامراء ، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثني محمد بن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله عز وجل إليه في العمر " . وكذا رواه الإمام أحمد عن أبي عبد الرحمن هو المقرئ ، به . ورواه أحمد أيضا عن خلف عن أبي معشر ، عن سعيد المقبري . طريق أخرى عن أبي هريرة : قال ابن جرير : حدثني أحمد بن الفرغ أبو عتبة الحمصي ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثنا المطرف بن مازن الكناني ، حدثني معمر بن راشد قال : سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفاري يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد أعذر الله عز وجل ، إلى صاحب الستين سنة والسبعين " . فقد صح هذا الحديث من هذه الطرق ، فلو لم يكن إلا الطريق التي ارتضاها أبو عبد الله البخاري شيخ هذه الصناعة لكفت . وقول ابن جرير : ( إن في رجاله بعض من يجب التثبت في أمره ) ، لا يلتفت إليه مع تصحيح البخاري ، والله أعلم . وذكر بعضهم أن العمر الطبيعي عند الأطباء مائة وعشرون سنة ، فالإنسان لا يزال في ازدياد إلى

كمال الستين ، ثم يشرع بعد هذا في النقص والهزم ، كما قال الشاعر: إذا بلغ الفتى ستين  
عاما فقد ذهب المسرة والفتاء ولما كان هذا هو العمر الذي يعذر الله إلى عباده به ، ويزيح  
به عنهم العلل ، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة ، كما ورد بذلك الحديث ، قال  
الحسن بن عرفة ، رحمه الله : حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، حدثنا محمد بن  
عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أعمار  
أمتي ما بين الستين إلى السبعين ، وأقلهم من يجوز ذلك " . وهكذا رواه الترمذي وابن  
ماجه جميعا في كتاب الزهد ، عن الحسن بن عرفة ، به . ثم قال الترمذي : هذا حديث  
حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وهذا عجب من الترمذي ، فإنه قد رواه أبو  
بكر بن أبي الدنيا من وجه آخر وطريق أخرى ، عن أبي هريرة حيث قال : حدثنا سليمان  
بن عمر ، عن محمد بن ربيعة ، عن كامل أبي العلاء ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين ،  
وأقلهم من يجوز ذلك " . وقد رواه الترمذي في " كتاب الزهد " أيضا ، عن إبراهيم بن  
سعيد الجوهري ، عن محمد بن ربيعة ، به . ثم قال : هذا حديث حسن غريب ، من

حديث أبي صالح عن أبي هريرة ، وقد روي من غير وجه عنه . هذا نصه بحروفه في  
الموضعين ، والله أعلم . وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو موسى الأنصاري ، حدثنا ابن  
أبي فديك ، حدثني إبراهيم بن الفضل - مولى بني مخزوم - عن المقبري ، عن أبي هريرة  
، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين "  
وبه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أقل أمتي أبناء سبعين " . إسناده ضعيف  
. حديث آخر في معنى ذلك : قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا إبراهيم بن هانيء  
، حدثنا إبراهيم بن مهدي ، حدثنا عثمان بن مطر ، عن أبي مالك ، عن ربي عن  
حذيفة أنه قال : يا رسول الله ، أنبئنا بأعمار أمتك . قال : " ما بين الخمسين إلى الستين "  
قالوا : يا رسول الله ، فأبناء السبعين ؟ قال : " قل من يبلغها من أمتي ، رحم الله أبناء  
السبعين ، ورحم الله أبناء الثمانين " . ثم قال البزار : لا يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد ،  
وعثمان بن مطر من أهل البصرة ليس بقوي . وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم عاش ثلاثا وستين سنة . وقيل : ستين . وقيل : خمسا وستين سنة .  
والمشهور الأول ، والله أعلم . وقوله : ( وجاءكم النذير ) : روي عن ابن عباس ،

وعكرمة ، وأبي جعفر الباقر ، وقتادة ، وسفيان بن عيينة أنهم قالوا : يعني الشيب . وقال  
السدي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعني به الرسول صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن  
زيد : ( هذا نذير من النذر الأولى ) [ النجم : 56 ] . وهذا هو الصحيح عن قتادة ، فيما  
رواه شيبان ، عنه أنه قال : احتج عليهم بالعمر والرسول . وهذا اختيار ابن جرير ، وهو  
الأظهر ; لقوله تعالى : ( ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ما كثون لقد جئناكم  
بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون ) [ الزخرف : 77 ، 78 ] ، أي : لقد بينا لكم الحق  
على السنة الرسل ، فأبئتم وخالفتم ، وقال تعالى : ( وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا ) [  
الإسراء : 15 ] ، وقال تبارك وتعالى : ( كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم  
نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير )  
[ الملك : 8 ، 9 ] . وقوله : ( فذوقوا فما للظالمين من نصير ) أي : فذوقوا عذاب النار  
جزاء على مخالفتكم للأنبياء في مدة أعماركم ، فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما أنتم فيه  
من العذاب والنكال والأغلال .